إشاريةُ البُنى المطلقة

أ . م. د. لطيف حاتم عبد الصاحب الزاملي
جامعة القادسية- كلية التربية

ملخّص البحث

إشارية البُنى المطلقة – موضوع البحث- دراسة لبُنى لغوية تجمعها وحدة أصل، ووحدة مفهوم. فأما وحدة أصلها؛ فلأنها تعود إلى أصول مشتركة تحمل في كينونتها سمات إشارية، وأمّا وحدة مفهومها؛ فلأنها جميعها تعرّف، وتخصّص، وتحيل، وتتبادل الدلالة.

وهذه البنى عناصر أساسية في تكوين الجمل، وتوجيه دلالاتها؛ إذ تشغل موقعاً في الإسناد الاسمي، وتستعمل لدلالات خاصّة؛ لذلك شغلت موقعاً في التصنيف النحوي أيضاً؛ إذ جعلوها أسماءً ومعارف، بل جعلها بعضهم أعرف المعارف.

وقد أظهرت جداول البحث الأصول المشتركة لهذه البنى في اللغات السامية، وأشارت إلى ما بينها من اختلاف في صوت من أصواتها قد يحصل بين تلك اللغة وهذه بسبب من عوامل التطور اللغوي.

وقد درس البحث إطلاقية هذه البنى، ودلالاتها الاشارية، وقدرتها على التبادل في السياقات المتشابهة مبيناً ما تمتلكه من قدرة على التعبير عندما تستعمل في سياق، أو في موقف معيّن.

-أولاً: مبحث في المفهوم:

فالإطلاق في اللغة هو الإيهام. جاء في اللسان: ((والإطلاق في القائمة أن لا يكون فيها وَضَحٌ))(١). وبحسب هذا المعنى وُضِعت في التصنيف النحوي عند القدماء الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة تحت باب واحد هو باب (الأسماء المبهمة)(٢). قال المبرّد: ((وإنّما صارت كلّها مبهمة من قبل أنّ هو وأخواتها، وهذا وأخواتها تقع على كلّ شيء، ولا تفصل شيئاً عن شيء من الموات والحيوان وغيره))(٣). فسيبويه والمبرد جمعا ضمائر الشخص وأسماء الإشارة تحت مفهوم الإيهام بالنظر إلى دلالاتها العامّة. وأمّا الاسم الموصول فهو عندهم من أسماء الإشارة تضميناً.

وأما الكوفيون فأطلقوا عليها مصطلح (الكناية)(٤)؛ لأنها كنايات عن الأسماء وإشارات إليها. يقول الدكتور مهدي المخزومي في هذا الصدد: ((إنّها كلمات ليس لها معنى خاص، ولا مدلول بعينه، كلمات مبهمة تطلق على الموجودات كلّها، ولا تدلّ على معنى دلالة الاسم على مسماه، كما يدل (رجل) على إنسان ذكر لا بعينه و(امرأة) على إنسانة أنثى لا بعينها، و(شجرة) على نبتة ذات ساق، إلى غير ذلك، ولكنّها تستعمل في ذلك كلّه، ولم تكن الكلمات المبهمات إلا إشارات، أو كنايات؛ لأنّها تشير إلى كلّ ذلك، ويكنّى بها عن كلّ ذلك))(٥). وقد فرّق متأخرو الأصوليين بين الأسماء والمبهمات وفقاً لمبدأ الاستعمال، ومقتضيات الوضع. فالأسماء لها صور ذهنية مستقلة استعملت في جملة أم لم تستعمل، أما المبهمات فليس لها صور ذهنية مستقلة؛ بل يتحدد معناها عند استعمالها في الجملة فقط؛ إلاّ إنها بقيت عندهم داخلة في صنف الأسماء(٦).

وقد اصطلح عليها جرجي زيدان باعتبار دلالتها على مطلق الموجودات بـ(الألفاظ المطلقة)، قال: ((اللغة مؤلفة من الألفاظ، والألفاظ تقسم باعتبار الدلالة إلى ذات دلالة مطلقة.. وندعوها تساهلاً (ألفاظاً مطلقة)، وهي التي تصحّ الدلالة بواحدة منها على أيّ موجود حسياً كان أو معنوياً، وتشتمل على الضمائر، وأسماء الإشارة واسم الموصول وماشاكل ذلك. والى ذات مانعة وندعوها تساهلاً (ألفاظاً مانعة) أي لا يمكن الدلالة بأحدها إلاّ على قسم من الموجودات أو على نوع واحد من المعنى...))(٧). فالمطلق والمبهم مصطلحان لمفهوم واحد مؤدّاه ان هذه البنى عندما

تكون خارج الاستعمال اللغوي لم يكن لها معنى محدّد، ويتحدّد معناها عند تضامّها مع ضمائم أو قرائن في سياق تركيب أو نص معيّن، وتتحدد إشاريتها بمعرفة المرجع الذي تحيل إليه.

-اسميتُها وتعريفُها:

نصّ اللغويون أجمعهم على اسمية هذه البنى، وكذلك على تعريفها، بل جعلها ابن السّراج اعرف المعارف(٨)، وهي عند الكوفيين اعرف من الاسم العلم(٩).

إذاً، هي أسماء، وهي معارف. أما اسميتها وتعريفها فبحسب طائفة من الخصائص استنبطناها من الجهد النحوي، وسنوضحها على النحو الآتي:

١ -الاسم إبانة عن مسمى أو علامة لمعرفته ولا يُراد به حقيقة الشيء؛ لأنّ حقائق الأشياء، أو التشبيه بحقائق الأشياء وظيفة الخبر أو الصفة(١٠). وهذه البنى كنايات عن أسماء، والكناية تبين عن الشيء وتعرّف به.

٢ -هذه البنى تشغل في الجملة الموقع الذي يشغله الاسم، فتكون مبتدأً وخبراً وفاعلاً ونائباً عن الفاعل واسماً وخبراً لكانَ وأخواتها، ولأنَّ وأخواتها، وغير ذلك من الوظائف النحوية التي يؤديها الاسم في الجملة.

٣ -الإحالة إلى معيّن، ذلك أن الإحالة أساس في الإشاريات(١١)، فضلاً عن ((أنّ التعريف إنما هو ابن الإشارة؛ لأنّ أبسط طريقة لتعريف أمرٍ ما تقوم بالإشارة إليه))(١٢). فإذا قلت: إن التعيين تعريف وهذه البنى مطلقة غير مخصصة، أقول: إن تعيينها خصيصة لغوية جاءت من أمرين: أحدهما –معناها المعجمي الذي استقر في الاستعمال فصارت تعرف بمعانٍ خاصة كالحضور والغياب والقرب والبعد وغيرها، والآخر – قصد المتكلم والمعرفة والخبرة المشتركة بين المتكلم والمخاطب. وفي الواقع لا يمكن للمرء أن يقيم أي فصل حاد بين معرفة لغوية داخلية (معرفة معجمية). ومعرفة غير لغوية خارجية(١٣).

وعندما نرجع إلى أوّل مصنّف نحوي متكامل هو كتاب سيبويه نحصل على إشارات واضحة إلى هذا الباب؛ إذ يقول في الأسماء المبهمة: ((... وإنما صارت معرفةً؛ لأنّها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمتّه))(١٤)، ويقول في الضمائر: ((... وإنما صار الإضمار معرفةً؛ لأنّك إنما تضمر اسماً بعدما تعلمُ أنّ مَنْ يُحدَّثُ قد عرف مَنْ تعني وما تَعني، وأنّك تريدُ شيئاً يعلمه))(١٥).

٤ -لهذه البنى خصيصة استبدالية وفقاً لمبدأ الاستبدال بين الوحدات اللغوية التي تنتمي إلى صنف واحد(١٦). فقد تكون بديلاً عن الأسماء، وقد تكون بديلاً عن بعضها البعض، قال سيبويه في (هذا عبد الله منطلقٌ): ((فوجه أنَّك حين قلت: هذا عبد الله أضمرت هذا أو هو، كأنَّك قلت: هذا منطلقٌ أو هو منطلقٌ))(١٧). وقال في (هذا الرجلُ منطلقٌ): ((فالرجل صفةٌ لهذا، وهما بمنزلة اسم واحد))(١٨)، وقوله: وهما بمنزلة اسم واحد يريد به: أنهما معرفتان ويصحّ استبدال المعرفة بالمعرفة؛ لأنهما صنف وظيفي واحد. ولولا تصنيف هذه البنى في صنف الأسماء والمعارف لم يجز الاستبدال فيها.

ثانياً: أنواعُها وأبنيتُها:

تضم البنى المطلقة الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وبنى أخرى أظهر الاستعمال إشاريتها. وهذه البنى تجمعها أصول مشتركة مثلما جمعها مفهوم واحد، ولها معان خاصة وصور مختلفة استقرت في التداول لفظاً وخطّاً، وسأعرض لأبنيتها بحسب أنواعها على النحو الآتي:

١ -الضمائر:

وتشمل الضمائر الدالّة على المتكلم نحو (أنا وفروعه)، والضمائر الدالة على المخاطب نحو (أنتَ وفروعه)، والضمائر الدالة على الغائب نحو (هو وفروعه). ولهذه الضمائر مبانٍ معروفة، وأحكام معروفة أيضا من جهة الانفصال والاتّصال، والعدد، والجنس، والإعراب ضمّنتها مصنفات النحو جميعها وتحدّثت عنها.

والذي يهمّنا في هذا الباب الأصول المشتركة لهذه الضمائر؛ لأنّها تعزّز وحدة الأصل فيها، ويبقى الأمر احتمالاً لا قطعاً، وسنقتصر على أبنية هذه الضمائر في حالة الإفراد، لأن أصل التثنية والجمع هو الإفراد.

((فـ(أنا) المتكلّم أصل كل كلام، ومنبعه وأقدم منه، والمتكلّم لا يكلّم نفسه في الأصل؛ بل مخاطباً، فـ(أنت)

أصل ثانٍ، ومنبع للكلام أقدم منه أيضاً))(١٩)، وبهذا تكون ضمائر الغائب ليست أصلاً بل ((نوع بنفسه بين الضمائر وبين أسماء الإشارة))(٢٠).

ويتركب ضمير المتكلم (أنا) من المقطع (أن) ويحتمل أن يكون من أدوات الإشارة، ومن الضمير المتصل في أول المضارع (أ) في أفعل وأمّا الضمائر المنفصلة للمخاطب فمركبة من التاء المستخدمة في الماضي و(أن)(٢١). ويتخالف الضميران المتصلان، أحدهما الهمزة، والآخر التاء المضمومة. أي ان ضمير المتكلم المتصل هو تاء مضمومة نحو: كَتَبْتُ، بينما تكون هذه التاء مفتوحة، أو مكسورة في المخاطب المفرد والمخاطبة المفردة نحو: كَتَبْتَ، وكَتَبْتِ(٢٢).

ونجد أَحياناً ضمير المتكلّم المنفصل في بعض اللغات السامية يجمع بين الضميرين المتصلين فهو في الأكدية (أناكو): أن + آ + كو، وفي العبرية آنوكي، فالضمير في هاتين اللغتين هو الكاف، وفي العربية هو التاء، والكاف هي الأصل، والدليل على ذلك أنّه لو كانت التاء هي الأصل لافترضنا أنها قلبت كافاً في بعض اللغات السامية بغير علّة ظاهرة مفهومة(٢٣)، فإذا كانت الكاف هي الأصل فهمنا سبب إبدالها تاء في العربية، لان التاء موجودة في المخاطب فأدخلوها إلى المتكلّم قياساً على المخاطب(٢٤).

وكثيراً ما يقع الإبدال بين الكاف والتاء في اللغات السامية لتقاربهما في حكاية الصوت فقد كان الآشوريون يقولون: سَكنك بدلاً من سكنتُ وأشار دارسو اللهجات إلى ان العربية الجنوبية القديمة تضع الكاف مكان التاء(٢٥) وبهذا الاستدلال يتوصل المستشرق برجشتراسر إلى قاعدة عامة في حياة اللغة ((هي أنّ الاختلاف في حياة اللسان أقدم من الاتفاق في أكثر الحالات، مثاله ما ذكرناه أن التخالف في الحروف بين الضمائر المتصلة – أي ان المتكلّم بالكاف والمخاطب بالتاء - أقدم من توافقهما، أي أنّ كليهما بالتاء))(٢٦).

أما ضميرا الغائب والغائبة في العربية أي: هو، وهي فقد ورد في أقدم الوثائق الارامية أن أصلهما (هوا) و(هي ا) أو بالأحرى (شي ا) في الأكدية، وينطقان هو وهي في العربية التي أبدلت الهمزة واواً في المذكر وياءً في المؤنث، وذلك حدث في زمن قديم جداً أقدم من زمن سائر تخفيفات الهمز في اللهجات العربية(٢٧). وهذا يدل على أن ضمير الغائب يختلف في أصله ووظيفته عن ضميري المتكلّم والمخاطب، وقد علق بهما في اللغة السامية الأم نفسها(٢٨).

وسأوضح ذلك في ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب المتصلة والمنفصلة المرفوعة والمجرورة والمنصوبة في الأفراد مثلما أشرت من قبل في الجداول الآتية(٢٩):

١ -الضمائر المفردة في العربية:

نوع الضمير	المنفصل المفرد		المتصل المفرد			المتصل المرفوع في أول المضارع	المتصل المرفوع في آخر المضارع
	مذكر	مؤنث	مرفوع	منصوب	مجرور		
المتكلم المفرد	أنا	-	تُ	ني، نِيَ	ي، يَ	أ	-
المخاطب المفرد	أنتَ	-	تَ	كَ	كَ	ت	-
المخاطبة المفردة	-	أنتِ	تِ	كِ	كِ	تــ	ي
الغائب	هو	-	-	ــه	ــه	يــ	-
الغائبة	-	هي	-	ها	ها	يــ	-

٢-الضمائر المفردة في العبرية:

نوع الضمير	منفصل مفرد	المتصل المفرد		
		رفع	نصب	جر
المتكلم	انكي وتلفظ (انخي)	ني	ي	-
المخاطَب	أته	تَ	كَ	-
المخاطَبة	أت	ت	ك	-
الغائب	هوا	-	هو	-
الغائبة	هيا	-	ـــهَ	-

ملاحظة: فالعبرانيون يؤنثون بالفتح المسند بالهاء وتقلب تاء عند التحريك، والكاف عندهم تقلب خاء.

٣-الضمائر المفردة في السريانية:

نوع الضمير	منفصل مفرد	المتصل المفرد		
		رفع	نصب	جر
المتكلم	أنا	ت	ي	-
المخاطَب	أنت	ت	كَ	-
المخاطَبة	أنتي	تي	كي	-
الغائب	هو	-	ـهِ	-
الغائبة	هي	-	ـــهَ	-

ولقد اقتصرت في هذه الجداول على الضمائر المفردة في أمهات اللغات السامية (العربية، والعبرية، والسريانية). اما بقية اللغات فمر ذكرها في سياق الحديث عن الضمائر.

٢-أسماء الإشارة والأسماء الموصولة:

يشير دارسو الساميات إلى أن أسماء الإشارة ((عناصر قديمة سامية الأصل، تحدد معناها، واقترن بعضها ببعض في زمان أحدث من زمان تكونّها في كل لغة على حدة))(٣٠). وأضافوا إليها الاسم الموصول؛ لأنّه في الأصل من أسماء الإشارة، وكذلك (ذو) بمعنى صاحب؛ لقربه من أسماء الإشارة(٣١).

وترجع أسماء الإشارة إلى مقطعين ((ها التنبيه + ذا))، أو الهاء والذال، ومنهما تركبت أسماء الإشارة، والاسم الموصول(٣٢).

فاسم الإشارة (ذا) أو (هذا) في السامية القديمة (ذي)، وفي الآرامية (دين)، وفي العربية الشرقية (ذا) يقابله في العبرية (زه)، أما اسم الموصول (ذو) عند طي فهو (ذي) أيضاً، وفي العبرية (زو) للمذكر و(زه) للمؤنث(٣٣). و(هذا) العربية يقابلها في العبرية (هزي) وكلاهما مركب من الهاء والذال، غير أن (ها) في العبرية آلة التعريف، وتلحق باسم الإشارة إذا كان تأكيداً لاسم آخر، وتسقط في غير ذلك فتصبح (زي)، ولربما يكون أصلها دي فلا تقابل (ذا) العربية، وذي في العربية أصل (ذه) في هذه لكنها في العربية مؤنثة وفي العبرية مذكرة. فالفرق واضح بين اللغتين في اسم الإشارة(٣٤).

أما ذلك فهي مركبة من (ذا + لام التوكيد + كاف الخطاب)، وأما تلك فالتاء فيها مبدلة ((و(تي) هذه أبدلت من ذي قياساً على تاء التأنيث، وقد توجد التاء في أسماء الإشارة الخاصة بسائر اللغات السامية أيضاً))(٣٥). ويبدو أن التاء في الاسم الموصول (التي) مبدلة من الذال أيضاً.

٣ -الألف واللام:

يرجّح دارسو الساميات ((أن الأصل في (أل) العربية (ها) التنبيه كما هو الحال في العبرانية. أما اللام فقد دخلت عرضاً لإسناد الحركة واللام كما لا يخفى من الأحرف (ل، م، ن، ر) التي كثيراً ما تدخل في اللفظ إسناداً لحركة أو مقطع))(٣٦). والألف واللام عنصر إشاري ما زال يحتفظ باشاريته، وكذلك هو عنصر تعريف، ولاشك في أنّ التعريف هو أوضح عناصر الإشارة تقول: ((اليوم أي: في هذا اليوم، والليلة أي: في هذه الليلة))(٣٧). وفي تعريفه قال سيبويه: ((وإنما صار معرفة؛ لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمتّه))(٣٨).

وقد تكون أسماً موصولاً بمعنى (الذي)؛ ذلك عندما تتصل بالصفات نحو: القائم أي الذي قامَ، والضارب أي: الذي ضربَ.

٤ -بُنى إشارية أخرى:

وتدخل في باب الإشارة بنى أخرى اقترنت بمبانٍ ودلالات خاصة نحو: هنا – للأشارة إلى المكان القريب، وهناك للإشارة إلى المكان البعيد. والذال في إذ للإشارة إلى زمان حاضر(٣٩). يقول برجشتراسر: ((غير أنّ الأرجح هو أنّ أصلها كلّها أداة إشارية صارت اسماً فيما بعد))(٤٠). ويلحظ ان المادة التي أخذت منها هذه البنى ((الهاء والنون والذال) هي عينها التي تركبّت منها البنى الاشارية الأخرى، وهذا ما يؤيد أنّ هذه البنى تعود إلى أصول مشتركة في أصولها ومادتها. اما تنوعها ودلالاتها فحصلت بسبب من التطور اللغوي ومقتضيات الاستعمال والتداول.

-ثالثاً: إشارية البنى المطلقة وتبادل الدلالة:

كلّ البنى المطلقة عناصر إشارية تحيل إلى معيّن حاضر أو غائب، قريب أو بعيد، حسّي أو معنوي بحسب السياق الذي تستخدم فيه، وقرائنه المقالية، أو الحالية. وبما أنّها ذات دلالات مشتركة فانها تسمح بالتبادل فيما بينها في السياقات المتشابهة. ولم يغفل الجهد النحوي العربي تلك الدلالات الاشارية لهذه البنى.

١ -الدلالة الاشارية للبنى المطلقة:

أ -التنبيه:

فالتنبيه معنى اشاري ينبّه به المتكلم مخاطبَه عليه. قال سيبويه في نحو (هذا عبدُ الله منطلقاً): ((والمعنى أنّك تريد أن تنبّهه له منطلقاً، لا تريد أن تعرّفه عبد الله؛ لأنّك ظننت أنّه يجهله فكأنّك قلت: انظر إليه منطلقاً))(٤١)، أو على رأي الأعلم الشنتمري (أشير إليه منطلقاً)، إذ يرى ان دخول هذا على أصل الجملة لتنبيه المخاطب عليه وتقرّ به له(٤٢). والأكثر في التنبيه ان يكون بهاء التنبيه التي قد تدخل على هذه البنى نحو قوله تعالى: ﴿ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم﴾ آل عمران: ١١٩. قال سيبويه: ((وحدثنا يونس أيضاً تصديقاً لقول أبي الخطاب، أنّ العرب تقول: هذا أنت تقول كذا وكذا لم يرد بقوله: هذا أنت، ان يعرّفه نفسه، كأنه يريد أن يعلمه انّه ليس غيره. هذا محال، ولكنّه أراد أن ينبّهه، كأنه قال: الحاضر عندنا أنت، والحاضر القائل كذا وكذا أنتَ))(٤٣).

ب -التعريف:

والتعريف مفهوم إشاري؛ لأنّه يعيّن ويخصص، فإذا أردت ان تعرف بشخصٍ ما تشير إليه بـ(هذا)، أو (هو)، قال سيبويه: ((وقد يكون هذا وصواحبه بمنزلة هو، يعرّف به تقول: هذا عبدُ الله فاعرفهُ. أردت أن تعرّف شيئاً بحضرتك))(٤٤). وقال: ((وقد تقول: هو عبد الله، وأنا عبدُ الله، فاخراً أو موعداً. أي اعرفني بما كنت تعرف عني وبما كان بلغك عني))(٤٥). ومنه قوله تعالى: ﴿وانا اخترتك فاستمع لما يوحى﴾ طه: ١٢، فنزّل المخاطب منزلة العارف بما يعنيه المتكلم حسّاً أو ادراكاً.

ت -الإحالة:

فهذه البنى مؤشرات ايصال وروابط تحديد؛ لأنّها تربط المرجع بعلاقة مع مكونات النص بحيث تنزله منزلة الحاضر وان لم يتقدم له ذكر، ويلحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ يوسف: ٢٦. فامرأة العزيز لم يتقدم لها ذكر، وعاد الضمير الغائب (هي) عليها؛ لأنها معروفة بالحس(٤٦). وقد يشير الضمير إلى مرجع لم يذكر لفظه، ولم يتقدم له ذكر؛ إلا أنّه يفهم من سياق الكلام، وذلك نحو قوله تعالى: ((إنّا أنزلناهُ في ليلة القدر)) (القدر:

١)، فالضمير في أنزلناه يحيل إلى القرآن الكريم وإنْ لم يتقدم له ذكر(٤٧).

ث- الإشارات الوجدانية:

فهذه البنى قد تنقل الإشارة إلى ما يسميه المحدثون بـ(المسافة العاطفية)(٤٨)، وذلك يعتمد على التنغيم وما يلابسه من حركات تظهر على المتكلم، ومنه التحقير عن قرب نحو قوله تعالى: ((أهذا الذي يذكر آلهتكم)) (الأنبياء: ٢١)، أو التعظيم عن بعد نحو قوله تعالى: ﴿ألم. ذلك الكتاب﴾ البقرة: ١-٢، أو الوعيد نحو قوله عزّ وجل: ((هنالك تبلُوا كلُّ نفسٍ ما أسلفت)) يونس: ١٠. ومنه قولهم: إنّا بني فلان في الفخر، قال سيبويه: ((لأنّه لا يريد أن يخبر من لا يدري أنّه من بني فلان، ولكنّه ذكر ذلك افتخاراً وابتهاءً))(٤٩).

٢- التبادل الدلالي:

فهذه البنى بسبب من أصولها المشتركة، ودلالاتها المشتركة قد تتبادل الدلالة فيما بينها في سياقات معينة، وقد تنبه نحويونا القدماء على هذه التبادل الدلالي وأشاروا إليه في مواضع معينة منها الآتي:

أ- إجراء ضمير الغائب مجرى اسم الاشارة:

والى ذلك أشار الزمخشري عند تفسيره لضمير الغائب في (منه) من قوله تعالى: ﴿وءاتوا النساءَ صدقاتهنَّ نِحلةً فإن طِبْنَ لكم عن شيءٍ ومنه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ النساء: ٤، قال: ((الضمير في منه جارٍ مجرى اسم الإشارة، كأنّه قيل عن شيءٍ من ذلك كما قال الله تعالى: ﴿قُل أُنبئكم بخيرٍ من ذلكم﴾ آل عمران: ١٥، بعد ذكر الشهوات، ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله: كأنّه في الجلد توليعُ البَهَقْ، قال: أردتُ كأنّ ذلك))(٥٠).

ب- إجراء اسم الإشارة مجرى الاسم الموصول:

قد يجري اسم الإشارة مجرى الاسم الموصول؛ لأنّه في الأصل من أسماء الإشارة مثلما أسلفنا، وقد ذكر الفراء ان العرب تذهب بـ(هذا) و(ذا) إلى معنى (الذي) فيقولون: ومن ذا يقولُ ذاك؟ في معنى: من الذي يقول ذاك(٥١). وقد نُسِبَتْ هذه المسألة إلى الكوفيين عامّة(٥٢)؛ إذ أجازوا في أسماء الإشارة كلّها أن تستعمل موصولات، وأمّا من جملة ما استدلوا به على ذلك قوله تعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ طه: ١٧، فكأنه قال: وما التي بيمينك(٥٣).

ت- إجراء الألف واللام مجرى الضمير المتصل:

ويمكن أن نجعل منه قوله تعالى: ((جنّاتُ عدنٍ مفتَّحةً لهم الأبوابُ)) ص: ٥٠، فكأنّه قال: مفتتحة لهم أبوابها، فجعل (أل) بمنزلة ضمير الغائب العائد على ذكر متقدم.

ث- إجراء الألف واللام مجرى الاسم الموصول:

ويلحظ ذلك في (أل) عندما تتصل بالصفات، ومنه قول سيبويه: ((هذا بابٌ صار الفاعلُ فيه بمنزلة الذي فَعَلَ في المعنى، وما يعمل فيه، وذلك قولك: هذا الضاربُ زيداً، فصار في معنى: هذا الذي ضرب زيداً، وعمل عمله))(٥٤). ومنه قوله تعالى: ((والسارقُ والسّارقةُ فاقطعوا أيديهما)) يريد: الذي سرق، والتي سرقت. وجعل النحويون منها الداخلة على الفعل لضرورة نحو قول الفرزدق(٥٥):

ما أنت بالحكم التُرضى حكومتُه
ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدَلِ

يريد: الذي ترضى حكومته.

خاتمة البحث ونتائجه:

إن تعدّد مجالات استعمال هذه البنى يمنحها أهمية خاصّة، ويجعل مجالات البحث فيها أوسع، فقد تدخل في فقه اللغة عندما يراد تتبع أصلها، وفي نظام النحو عندما تتركب مع ألفاظ أخرى، وفي علم الدلالة عندما يراد فهم إشاريتها، وفي علم التداول عندما تستعمل في سياق معيّن.

وتكاد تقترب معانيها في كلّ اللغات السامية؛ إذ هي ضمائر إشارية كثيرة الاستعمال في الكلام؛ لأنها تحمل في مادتها وأصلها معاني عامة تمنحها القدرة على توليد دلالات خاصة، وعلى التبادل مع الأسماء، ومع بعضها عندما تنتظم في تراكيب لغوية في مواقف كلامية مختلفة.

وقد تتبع البحث أصل هذه البنى في اللغات السامية القريبة من العربية، وأجرى مقابلة بينها في تلك اللغات، فتبين تقارب معانيها في تلك اللغات فضلاً عن تقارب مادتها التي تكونت منها؛ إذ تجمعها أصول مشتركة قديمة

قبل تفرّق هذه اللغات وتفرّعها، وبسبب من تلك الأصول تقاربت دلالاتها، وهو السبب الذي دعا النحويين إلى أن يضعوها تحت باب واحد، ويجمعوها تحت مفهوم واحد.

الهوامش:

---

(١) لسان العرب: ٢٧٤/١٠ (طلق).

(٢) كتاب سيبويه: ٧٧/٢.

(٣) المقتضب: ١٦٨/٤.

(٤) معاني القرآن، الفرّاء: ٥/١، ١٩، ٨٥، ٢١٠.

(٥) في النحو العربي، قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي: ٤٦.

(٦) ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين: ٧٠.

(٧) الفلسفة اللغوية والألفاظ الكتابية، جرجي زيدان: ٥٥.

(٨) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٧٠٨/٢ مسألة (١٠١).

(٩) ينظر: المصدر السابق: ٧٠٧/٢.

(١٠) ينظر: كتاب سيبويه: ٤٨٢/٣، وشرح السيرافي على هامش الكتاب، الجزء نفسه والصفحة نفسها.

(١١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٤.

(١٢) الفلسفة اللغوية: ١٢٢.

(١٣) ينظر: التحليل اللغوي للنّص: ٥٨.

(١٤) كتاب سيبويه: ٥/٢.

(١٥) كتاب سيبويه: ٦/٢.

(١٦) ينظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: ٣٢.

(١٧) كتاب سيبويه: ٨٣/٢.

(١٨) كتاب سيبويه: ٨٦/٢.

(١٩) التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر: ٨٠.

(٢٠) المصدر السابق: ٨٠.

(٢١) المصدر السابق: ٧٦.

(٢٢) المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٢٣) ينظر التطور النحوي: ٥٧٦، والفلسفة اللغوية: ١١٧.

(٢٤) ينظر: التطور النحوي: ٧٦، والفلسفة اللغوية: ١١٧.

(٢٥) ينظر: اللهجات العربية الغربية القديمة Chaim Rabin: ١٠٠.

(٢٦) التطور النحوي: ٧٧.

(٢٧) ينظر: التطور النحوي: ٨٢، والفلسفة اللغوية: ١٢٢ هامش المحقق.

(٢٨) ينظر: التطور النحوي: ٨٢.

(٢٩) ينظر: الفلسفة اللغوية: ١١٥، والتطور النحوي: ٧٥، ٧٩، ٨٠.

(٣٠) التطور النحوي: ٨٤.

(٣١) ينظر: التطور النحوي: ٨٦، والفلسفة اللغوية: ١٢٠-١٢٢.

(٣٢) ينظر: الفلسفة اللغوية: ١٢٠، ١٢١.

(٣٣) ينظر: اللهجات العربية الغربية القديمة: ١٣٨، ١٣٩.

(٣٤) ينظر: التطور النحوي: ٨٤، والفلسفة اللغوية: ١٢١، ١٢٢.

(٣٥) التطور النحوي: ٨٥.

(٣٦) الفلسفة اللغوية: ١٢٢.

(٣٧) التطور النحوي: ٨٦.

(٣٨) كتاب سيبويه: ٥/٢.

(٣٩) ينظر: كتاب سيبويه: ٣٥٥/٢، و٩٠/١.

(٤٠) التطور النحوي: ٨٦.

(٤١) كتاب سيبويه: ٧٨/٢.

(٤٢) ينظر: النكت في تفسير كتاب سيبويه: ٤٨١/١.

(٤٣) كتاب سيبويه: ٣٥٥/٢.

(٤٤) كتاب سيبويه: ٨٠/٢.

(٤٥) كتاب سيبويه: ٨٠/٢.

(٤٦) ينظر: معاني النحو: ٦٧/١.

(٤٧) ينظر: معاني النحو: ٦٧/١.

(٤٨) آفاق جديدة: ٢٣.

(٤٩) كتاب سيبويه: ٦٦/٢.

(٥٠) الكشاف: ٤٦٠/١، وصدر البيت: فيها خطوط من سوادٍ وبلَقْ.

(٥١) ينظر: معاني القرآن: ١٣٨/١.

---

[٥٢] ينظر: الإنصاف: ٢/٧١٧، م ١٠٣، وشرح جمل الزجاجي، ابن عصفور: ١/١٦٨.

[٥٣] ينظر: شرح جمل الزجاجي: ١/١٦٨.

[٥٤] كتاب سيبويه: ١/١٨١-١٨٢.

[٥٥] ينظر: شرح جمل الزجاجي: ١/١١٢.

ثبت المظان

-آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الدكتور محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٦م.

-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تأليف كمال الدين أبي البركات الانباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، ط٤، مصر، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

-البحث النحوي عند الأصوليين، الدكتور مصطفى جمال الدين، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

-التحليل اللغوي للنَّص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية للمناهج، تأليف: كلاوس برينكر، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

-التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب، مطبعة الخانجي-القاهرة، والرفاعي- الرياض ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

-شرح جمل الزجاجي، الشرح الكبير، ابن عصفور الأشبيلي (ت٦٦٩هـ) تحقيق: الدكتور صاحب جعفر أبو جناح، طبع مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة، بغداد، ج١ ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

-الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، جرجي زيدان، مراجعة د. مراد كامل، دار الحداثة، ط٢، بيروت، ١٩٨٢م.

-في النحو العربي، قواعد وتطبيق، الدكتور مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة د.ت.

-كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٩.

-الكشاف، الزمخشري (ت٥٣٨هـ) تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

-لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

-اللهجات العربية الغربية القديمة، Chaim Rabin، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦م.

-معاني القرآن، يحيي بن زياد الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، تح: محمد علي النجار، ومحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.

-معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، مطبعة التعليم العالي، ط١، الموصل، ١٩٨٩م.

-المقتضب، محمد بن يزيد المبرّد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

-نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، الدكتور نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

-النكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلم الشنتميري (ت٤٧٦هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية، ط١، الكويت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

Abstract

The paper is concerned with meaning of certain deixic structures which share the same origin and concept such structures are prerequisites in forming sentences and directing their meanings and play a significant role in no mind qualification. For these reasons, they have been as signal a place in grammatical and were considered nouns, proper nouns…. etr. Beside, these structure, are part of the so called Semitic common heritage. The paper emphasizes the absoluteness of these structures, their referential potential, and occurrence in various contexts. The study is supported with citations and evidence from authentic standard Arabic texts.